ولاتجاً الفوا مرى ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة لمحذوف يدل عليه النظم الكريم أي
وأمرتكم بذلك لأتم النعمة عليكم لما أنه نعمة جليلة ولإرادتي اهتداءكم لما أنه صراط
مستقيم موصل إلى سعادة الدارين كما أشير إليه في قوله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط
مستقيم وفي التعبير عن الإرادة بكلمة لعل الموضوعة للترجي على طريقة الاستعارة من
الدلالة على كمال العناية بالهداية ما لا يخفى أو عطف على علة مقدرة أي واخشوني لأحفظكم
عنهم ولأتم الخ أو على قوله تعالى لئلا يكون الخ وتوسيط قوله تعالى فلا تخشوهم الخ بينهما
للمسارعة إلى التسلية والتثبيت وفي الخبر تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله تعالى
عنه تمام النعمة الموت على الإسلام كما أرسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله والظرف
الأول متعلق بالفعل قدم على مفعوله الصريح لما في صفاته من الطول والظرف الثاني متعلق
بمضمر وقع صفة لرسولا مبينة لتمام النعمة أي ولأتم نعمتي عليكم في أمر القبلة أو في الآخرة
إتماما كائنا كإتمامي لها بإرسال رسول كائن منكم فإن إرسال الرسول لا سيما المجانس لهم
نعمة لا يكافئها نعمة قط وقيل متصل بما بعده أي كما ذكرتكم بالإرسال فاذكروني الخ وإيثار
صيغة المتكلم مع الغير بعد التوحيد فيما قبله افتنان وجريان على سنن الكبرياء
يتلو عليكم آياتنا صفة ثانية لرسولا كاشفة لكمال النعمة ويزكيكم عطف على يتلو
أي يحملكم على ما تصيرون به أزكياء ويعلمكم الكتاب والحكمة صفة أخرى مترتبة في الوجود على
التلاوة وإنما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل بحسب القوة العملية وتهذيبها
المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للإيذان
بأن كلا من الأمور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب
الوجود كما في قوله تعالى وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب و
الحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم لتبادر إلى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما في نظيره
في قصة البقرة وهو السر في التعبير عن القرآن تارة بالآيات وأخرى بالكتاب والحكمة
رمزا إلى أنه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف
الأحاديث الشريفة من الشرائع وقوله عز وجل ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون صريح
في ذلك فإن الموصول مع كونه عبارة عن الكتاب والحكمة قطعا قد عطف تعليمه على تعليمهما
وما ذاك إلا لتفصيل فنون النعم في مقام يقتضيه كما في قوله تعالى ونجيناهم من عذاب
غليظ عقيب قوله نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا والمراد بعدم علمهم أنه
ليس من شأنهم أن يعلموه بالفكر والنظر وغير ذلك من طرق العلم لانحصار الطريق

فى الوحى



في الوحي فاذكروني الفاء للدلالة على ترتب الأمر على ما قبله من موجباته أي فاذكروني بالطاعة
أذكركم بالثواب وهو تحريض على الذكر مع الإشعار بما يوجبه واشكروا لي ما أنعمت به عليكم
من النعم ولا تكفرون بجحدها وعصيان ما أمرتكم به يا أيها الذين آمنوا وصفهم بالإيمان
إثر تعداد ما يوجبه ويقتضيه تنشيطا لهم وحثا على مراعاة ما يعقبه من الأمر استعينوا
في كل ما تأتون وما تذرون بالصبر على الأمور الشاقة على النفس التي من جملتها معاداة
الكفرة ومقابلتهم المؤدية إلى مقاتلتهم والصلوة التي هي أم العبادات ومعراج المؤمنين
ومناجاة رب العالمين إن الله مع الصابرين تعليل للأمر بالاستعانة بالصبر خاصة
لأنه المحتاج إلى التعليل وأما الصلوة فحيث كانت عند المؤمنين أجل المطالب كما ينبئ
عنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلوة لم يفتقر الأمر بالاستعانة
بها إلى التعليل ومعنى المعية الولاية الدائمة المستتبعة للنصرة وإجابة الدعوة
ودخول مع الصابرين لما أنهم المباشرون للصبر حقيقة فهم متبوعون من تلك الحيثية
ولا تقولوا عطف على استعينوا الخ مسوق لبيان أن لا غاية للمأمور به وأن الشهادة
التي ربما تؤدي إليها الصبر حياة أبدية لمن يقتل في سبيل الله أموات أي هم أموات بل أحياء
أي بل هم أحياء ولكن لا تشعرون بحياتهم وفيه رمز إلى أنها ليست مما يشعر به بالمشاعر
الظاهرة من الحياة الجسمانية وإنما هي أمر روحاني لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن رضي
الله تعالى عنه أن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح
والفرح كما تعرض النار على آل فرعون غدوا وعشيا فيصل إليهم الألم والوجع قلت رأيت
في المنام سنة تسع وثلاثين وتسعمائة أني أزور شهداء أحد رضي الله تعالى عنهم وأنا أتلوا
هذه وما في سورة آل عمران وأرددهما متفكرا في أمرهم وفي نفسي أن حياتهم روحانية لا
جسمانية فبينما أنا على ذلك إذ رأيت شابا منهم قاعدا في قبره تام الجسم كامل الخلقة في
أحسن ما يكون من الهيئة والمنظر ليس عليه شيء من اللباس قد بدا منه ما فوق السرة والباقي
في القبر خلا أني أعلم يقينا أن ذلك أيضا كما ظهر وإنما لم يظهر لكونه عورة فنظرت إلى وجهه
فرأيته ينظر إلي متبسما كأنه ينبهني على أن الأمر بخلاف ما رأى فسبحانه من علت كلمته وجلت
حكمته وقيل الآية نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر وفيها دلالة على أن الأرواح
جواهر قائمة بأنفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه
جمهور الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وبه نطقت الآيات
والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء بذلك لما يستدعيه مقام التحريض على مباشرة